بسم الله الرحمن الرحيم

وَسَائِلُ الاتّصَالِ آدَابٌ وَضَوَابِطُ

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَيَّأَ وَسَائِلَ الاتِّصَالِ، وَأَمَرَ بِالتَّقَارُبِ وَالوِصَالِ، سُبْحَانَهُ خَلَقَ النَّاسَ؛ لِيَكُونُوا مُتَقَارِبِينَ مُتَوَاصِلِينَ، مُتَرَاحِمِينَ مُتَرَابِطِينَ، وَسَخَّرَ لَهُمْ مِنْ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ مَا فِيهِ قَضَاءُ مَآرِبِهِمْ، وَصَلاحُ حَيَاتِهِمْ، وَاستِقَامَةُ أُمُورِهِمْ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، أَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّلاحُمِ وَالتَّرَابُطِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى دَرْبِهِ، وَاقْتَفَى أَثَرَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا عِبَادَ اللهِ:

أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ؛ فَإِنَّهَا سُلَّمُ النَّجَاةِ وَالفَوْزِ بِرِضَا رَبِّ العَالَمِينَ، وَاعْلَمُوا – رَحِمَكُمُ اللهُ – أَنَّ العَالَمَ بِأَسْرِهِ صَارَ قَرْيَةً وَاحِدَةً فِي تَشَابُكِهِ وَتَرَابُطِهِ وَانْفِتَاحِهِ، بِفِعْلِ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ الحَدِيثَةِ الَّتِي قَرَّبَتِ البَعِيدَ، وَعَبَرَتِ الحُدُودَ الطَّبِيعِيَّةَ، وَجَاوَزَتِ الحَوَاجِزَ البَشَرِيَّةَ، فَأَصْبَحَ الجَمِيعُ عَلَى مَرْأًى وَمَسْمَعٍ مِمَّا يَحْدُثُ فِي العَالَمِ مِنْ أَقْصَاهُ إِلَى أَقْصَاهُ، مَنْ فِي مَشْرِقِهِ يُحَادِثُ مَنْ بِمَغْرِبِهِ، وَمَنْ فِي الشَّمَالِ يُحَادِثُ مَنْ فِي الجَنُوبِ، وَالعَكْسُ كَذَلِكَ، هَذِهِ الوَسَائِلُ امتَنَّ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا لِنُسَخِّرَهَا فِي الخَيْرِ وَالنَّفْعِ، وَنَنْأَى بِهَا عَنْ كُلِّ ضُرٍّ، يَقُولُ جَلَّ ذِكْرُهُ مُمْتَنًّا عَلَى عِبَادِهِ بِذَلِكَ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١)، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)، إِنَّهَا نِعَمٌ مَتَى يُؤَدِّي الإِنْسَانُ شُكْرَهَا؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣)، وَنَظَرًا لِمَا لِوَسَائِلِ الاتِّصَالِ مِنْ أَهَمِّيَّةٍ بَالِغَةٍ، وَتَأْثِيرٍ وَاضِحٍ فِي حَيَاةِ النَّاسِ، رِجَالاً وَنِسَاءً، صِغَارًا وَكِبَارًا، فَالوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا مِنَّةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِتَسْخِيرِ هَذِهِ النِّعَمِ لِخِدْمَتِهِمْ وَرَاحَتِهِمْ، وَأَنْ يَشْكُرُوا اللهَ

(١) سورة لقمان / ٢٠ .

(٢) سورة الجاثية / ١٣ .

(٣) سورة النحل / ١٨ .

بِاستِغْلالِهَا الاستِغْلالَ الأَمْــثَلَ فِي وُجُوهِ البِرِّ وَالخَيْرِ، وَأَنْ يَقِفُوا عِنْدَ حُدُودِهَا وَضَوَابِطِهَا، وَأَلاَّ يَكْفُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بِاستِعْمَالِهَا فِي غَيْرِ مَا وُضِعَتْ لَهُ.

أَيُّهَا النَّاسُ:

إِنَّ وَسَائِلَ الاتِّصَالِ تَمْــتَازُ عَنْ غَيْرِهَا بِأَنَّهَا مُتَنَقِّلَةٌ مَحْمُولَةٌ مَعَ الإِنْسَانِ أَيْنَمَا حَلَّ أَوْ رَحَلَ، وَأَيْــنَمَا شَرَّقَ أَوْ غَرَّبَ، مِنَ السَّهْــلِ أَنْ تَحْمِلَهَا فِي جَيْبِكَ أَوْ فِي يَدِكَ، أَوْ تَكُونَ فِي سَيَّارَتِكَ بِجِوَارِكَ، تَصْعَدُ بِهَا الجَبَلَ، وَتَنْزِلُ بِهَا الأَوْدِيَةَ وَالسُّهُولَ، وَمَا كَانَ الإِنْسَانُ يَتَصَوَّرُ أَنَّ ذَلِكَ كَائِنٌ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ، وَلِذَلِكَ حَقَّقَتْ وَسَائِلُ الاتِّصَالِ مَنَافِعَ بَهَرَتِ العُقُولَ، وَسَهَّــلَتِ المَؤُونَةَ، وَذَلَّلَتِ الصِّعَابَ، بِأَقَلِّ كُلْفَةٍ وَأَدنَى جُهْدٍ، فَبِهَا قَضَاءُ الحَوَائِجِ، وَتَخْلِيصُ الأَعْمَالِ بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ، وَبِهَا التَّهْــنِئَةُ فِي المُنَاسَبَاتِ السَّعِيدَةِ وَالأَفْرَاحِ، وَبِهَا التَّعْــزِيَةُ فِي المَصَائِبِ وَالأَتْرَاحِ، وَلا سِيَّمَا إِذَا كَانَتِ المَسَافَةُ بَعِيدَةً، وَهِيَ خَيْرُ وَسِيلَةٍ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى الأَهْــلِ وَالإِخْوَانِ، وَمَعْرِفَةِ مُجْرَيَاتِ الحَيَاةِ وَأَهَمِّ مَا يَسْــتَجِدُّ مِنْ أَحْدَاثٍ، بَلْ هِيَ مِنْ وَسَائِلِ تَوْجِيهِ النَّصَائِحِ وَالإِرْشَادِ لِمَعَالِي الأُمُورِ، وَبِهَا تُحَلُّ بَعْضُ المُشْكِلاتِ الطَّارِئَةِ الَّتِي تَحْــتَاجُ إِلَى سُرْعَةِ حَلٍّ، فَإِذَا استُغِلَّتْ هَذِهِ الوَسَائِلُ إِيجَابِيًّا عَادَتْ بِمَرْدُودٍ مِنْ ثِمَارِهَا اليَانِعَةِ، وَفَوَائِدِهَا الكَثِيرَةِ، لا يُمْــكِنُ حَصْرُهُ وَعَدُّهُ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

أَمَّا إِذَا جِئْنَا إِلَى الأَضْرَارِ الَّتِي تَنْجُمُ عَنِ استِعْمَالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ فِي غَيْرِ مَرْضَاةِ اللهِ فَهِيَ كَثِيرَةٌ؛ بِسَبَبِ خُرُوجِ بَعْضِ النَّاسِ عَنِ الحَقِّ فِي استِعْمَالِهَا، وَمِنْ ذَلِكَ إِهْدَارُ المَالِ بِتَبْدِيدِهِ عَلَى خِدْمَاتٍ تُخَرِّبُ وَلا تَعْمُرُ، وَتَهْدِمُ وَلا تَبْــنِي، فِي الانْحِرَافِ السُّلُوكِيِّ وَالضَّرَرِ الاجتِمَاعِيِّ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالمُسلِمِ أَنْ يُبَدِّدَ مَالَهُ فِي ذَلِكَ؟ فِي حِينٍ تَتَسَارَعُ الأُمَمُ إِلَى بِنَاءِ لَبِنَاتِ اقتِصَادِهَا، وَصِنَاعَاتِهَا وَثَقَافَتِهَا. إِنَّ هَذِهِ المَبَالِغَ لَوِ استَغَلَّهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا فِي النَّافِعِ لَعَادَتْ عَلَى مُجتَمَعَاتِنَا بِكُلِّ خَيْرٍ وَرُقِيٍّ، وَلَوْ أَنَّ هَذَا الكَمَّ الكَبِيرَ مِنَ الكَلامِ الَّذِي يُتَبَادَلُ عَبْرَ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ وُجِّهَ تَوْجِيهًا حَسَنًا مِنْ أَجْــلِ التَّعْمِيرِ وَالخَيْرِ، مَاذَا يَكُونُ مَرْدُودُهُ؟ إِنَّنَا وَلا رَيْبَ نَسْــتَطِيعُ بِهَذَا السَّيْــلِ الهَادِرِ مِنَ الكَلِمَاتِ وَالبُحُوثِ وَالكِتَابَاتِ أَنْ نُعَرِّفَ بِسَمَاحَةِ الإِسْلامِ، وَأَنْ نَنْــشُرَ كَثِيرًا مِنَ المَعْــلُومَاتِ وَالتَّجَارِبِ وَالمَعَارِفِ وَالخِبْرَاتِ

المُفِيدَةِ. وَمِنْ سَلْبِيَّاتِ هَذِهِ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ إِهْدَارُ الوَقْتِ وَتَضْيِيْعُهُ بِسَبَبِ الاستِعْمَالِ السَّيِّئِ لَهَا، أَلاَ فَلْنَعْلَمْ أَنَّ الوَقْتَ نِعْمَةٌ كُبْرَى مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ سَائِلُنَا عَنْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، لِذَلِكَ نَرَى تَعْظِيمَ اللهِ سُبْحَانَهُ لِشَأْنِ الزَّمَنِ، فَقَدْ أَقْسَمَ بِالعَصْرِ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى، وَلا يُقْسِمُ اللهُ بِشَيْءٍ إِلاَّ إِذَا أَرَادَ تَعْظِيمَهُ، وَلَفْتَ انتِبَاهِ النَّاسِ إِلَيْهِ؛ لِيُولُوهُ الأَهَمِّيَّةَ بِسَبَبِ غَفْلَتِهِمْ عَنْهُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْضِي وَقْتًا طَوِيلاً فِي المُهَاتَفَةِ وَالأَحَادِيثِ الجَانِبِيَّةِ فِي هَذِهِ الوَسَائِلِ، وَالمَرْءُ سَيُسْأَلُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَنْ عُمُرِهِ فِيْمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلاهُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَخُصَّتْ مَرْحَلَةُ الشَّبَابِ بِالسُّؤَالِ لِلْفَرَاغِ الرُّوحِيِّ الَّذِي قَدْ يُعَايِشُهُ بَعْضُهُمْ، مِمَّا يَجْعَلُهُمْ يَقْضُونَهُ فِيمَا لا طَائِلَ مِنْ وَرَائِهِ، مَعَ أَنَّ الوَقْتَ عِنْدَ العُقَلاءِ دُرَّةٌ مَكْنُونَةٌ يَعَضُّونَ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَفِي الحِكْمَةِ: (الوَقْتُ كَالسَّيْفِ إِنْ لَمْ تَقْطَعْهُ قَطَعَكَ). وَلا نَنْسَ أَنَّ المُبْدِعِينَ وَالنَّابِغِينَ فِي المَاضِي، رَغْمَ شُحِّ وَسَائِلِ الاتِّصَالِ فِي وَقْتِهِمْ، أَدْرَكُوا قِيمَةَ الوَقْتِ فَشَادُوا تِلْكَ الحَضَارَاتِ الشَّامِخَةَ، وَتَرَكُوا لَنَا هَذِهِ المَكْتَبَاتِ الضَّخْمَةَ الَّتِي تَعِجُّ وَتَضِجُّ بِالمَعَارِفِ وَالعُلُومِ، يَكْفِي المَوْجُودُ مِنْهَا فَضْلاً عَنِ المَفْقُودِ، وَعَلَيْهَا قَامَتِ المَدَنِيَّةُ الحَدِيثَةُ بِاخْتِرَاعَاتِهَا وَإِنْتَاجَاتِهَا.

أَيُّهَا المُؤمِنُونَ:

مِنَ الاستِغْلالِ السَّيِّئِ لِهَذِهِ الوَسَائِلِ السُّخْرِيَةُ مِنَ النَّاسِ، وَالتَّنْقِيصُ مِنْ شَأْنِهِمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ السُّخْرِيَةُ مِنَ الإِنْسَانِ نَفْسِهِ، أَوْ مِنْ بَلَدِهِ وَلَهْجَتِهِ، أَوْ مِنْ صِفَاتِهِ وَعَادَاتِهِ، أَوْ مِنْ عَمَلِهِ وَصِنَاعَتِهِ، فَكُلُّ ذَلِكَ حَرَّمَهُ الإِسْلامُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1]، وَفِي هَذَا تَحْذِيرٌ صَارِخٌ لِمَنْ يَجْرُؤُ عَلَى السُّخْرِيَةِ مِنْ إِخْوَانِهِ أَوْ هَمْزِهِمْ وَغَمْزِهِمْ، فَهُوَ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَقَّ الإِيمَانِ، بَلْ هُوَ ظَالِمٌ مُتَجَاوِزٌ لِحُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ. وَمِنَ استِغْلالِهَا السَّيِّئِ كَذَلِكَ نَشْرُ الشَّائِعَاتِ وَالأَخْبَارِ الكَاذِبَةِ، وَالإِرْجَافُ بِهَا وَالتَّحْرِيشُ بَيْنَ النَّاسِ، فَلا يَتَثَبَّتُونَ مِنَ الحَقَائِقِ مِنْ مَصَادِرِهَا المَوثُوقَةِ، ثُمَّ يَزِيدُونَ عَلَيْهَا مِنْ عِنْدِهِمْ بِدَعْوَى التَّشْوِيقِ، فَيُرَوِّجُونَ

(١) سورة الحجرات / ١١ .

لِلشَّائِعَاتِ الَّتِي لا أَسَاسَ لَهَا مِنَ الصِّحَّةِ، وَهَذَا لَهُ خَطَرٌ بَالِغٌ عَلَى المُجْتَمَعِ، حَسْبُكَ أَنَّهُ يَتَقَوَّلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَهْرِفُ بِمَا لا يَعْرِفُ، وَاللهُ جَلَّ جَلالُهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(١)، وَيَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾(٢)، بَلْ يَكْفِي أَنْ يَتَعَرَّضَ الَّذِي يُحَدِّثُ بِكُلِّ مَا سَمِعَ لِوَصْفِ النَّاسِ لَهُ بِأَنَّهُ كَذَّابٌ، لأَنَّهُ رَوَّجَ لِلْكَذِبِ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ : ((كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ))، فَالتَّثَبُّتُ مَطْلُوبٌ قَبْلَ إِصْدَارِ الأَحْكَامِ وَبَثِّ الشَّائِعَاتِ. عَلَى أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَغِلُّ سَذَاجَةَ الآخَرِينَ فِي التَّصْدِيقِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَيُحَمِّلُهُمْ أَمَانَةً فِي رِقَابِهِمْ بِنَشْرِهَا، فَرُبَّمَا نَشَرَ الشَّرَّ وَهُوَ لا يَعْلَمُ، فَيَكُونُ بِهَا مَعْلُومَاتٌ شَرْعِيَّةٌ خَاطِئَةٌ، أَوْ حَقٌّ يُرَادُ بِهِ بَاطِلٌ، وَمِنْ أَمْثَالِ هَذَا كَثِيرٌ، فَتَثَبَّتْ – يَا أَخِي – قَبْلَ أَنْ تَنْشُرَ، وَإِلاَّ كُنْتَ شَرِيكَهُمْ فِي الإِثْمِ. وَقَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْكَ تَحْدِيدَ الغَرَضِ مِنَ استِعْمَالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ وَالبَرَامِجِ، فَأَصْلِحْ نِيَّتَكَ؛ فَالأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَالأُمُورُ بِمَقَاصِدِهَا، وَلا تَنْسَ الانْضِبَاطَ بِوَقْتٍ مَعْلُومٍ حَتَّى لا يُؤَدِّيَ بِكَ الحَالُ إِلَى الإِدْمَانِ، فَإِنَّهُ مِنَ المُلاحَظِ فِيمَنْ يَسْتَعْمِلُ بَعْضَ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ إِدْمَانُهُ عَلَيْهَا إِدْمَانًا يُضَيِّعُ عَلَيْهِ أَوقَاتَهُ وَعِبَادَتَهُ وَحُقُوقَ أَهْلِهِ. وَمِنَ الاستِغْلالِ السَّيِّئِ لِوَسَائِلِ الاتِّصَالِ إِزْعَاجُ النَّاسِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَالتَّعَدِّي عَلَى حُرُمَاتِهِمْ، وَالتَّشْوِيشُ عَلَى المُصَلِّينَ فِي مَسَاجِدِهِمْ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ لا يَخْتَارُ الأَوقَاتَ المُنَاسِبَةَ لِلاتِّصَالِ، فَيُؤَدِّي إِلَى إِزْعَاجِ النَّاسِ وَقَلَقِهِمْ، وَإِيذَاءِ مَشَاعِرِهِمْ، وَإِذْهَابِ خُشُوعِهِمْ وَطُمَأْنِينَتِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ. ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنَا وَإِثْمَا مُّبِينَا ﴾(٣)، وَمَا أَعْظَمَ الضَّرَرَ عِنْدَمَا يُتْرَكُ لِلْفَتَى وَالفَتَاةِ هَذِهِ الوَسَائِلُ دُونَ مُرَاقَبَةٍ أَوْ مُتَابَعَةٍ، وَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنَّا مَأْمُورٌ بِتَحْصِينِ أَهْلِهِ وَتَرْبِيَةِ أَبْنَائِهِ وَرِعَايَةِ أُسْرَتِهِ، يَقُولُ – عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ –: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)).

---

(١) سورة الإسراء / ٣٦ .

(٢) سورة الحجرات / ٦ .

(٣) سورة الأحزاب / ٥٨ .

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

إِنَّنَا جَمِيعًا مُطَالَبُونَ بِأَنْ نُسَخِّرَ وَسَائِلَ الاتِّصَالِ فِي التَّوَاصُلِ وَالتَّرَاحُمِ، فِي التَّقَارُبِ وَالمَحَبَّةِ، فِي النَّفْعِ وَالخَيْرِ، فِي نَشْرِ حَضَارَةِ الإِسْلامِ الخَالِدَةِ، فِي نَشْرِ المَعَارِفِ وَالثَّقَافَةِ النَّظِيفَةِ، وَكُلُّ أُمَّةٍ إِنَّمَا تَرقَى بِسُمُوِّ تَفْكِيرِهَا، وَقُدْرَتِهَا عَلَى الاستِغْلالِ الأَمْثَلِ لِكُلِّ مُعْطَيَاتِ الحَضَارَةِ، وَلَوْ حَصَلَ ذَلِكَ لَجَنَتِ الأُمَمُ وَالشُّعُوبُ كُلَّ خَيْرٍ وَنَفْعٍ وَرُقِيٍّ وَتَقَدُّمٍ.

فَعَلَيْنَا – إِخْوَةَ الإِيمَانِ – أَنْ نَسْتَعْمِلَ هَذِهِ الوَسَائِلَ فِي مَرْضَاةِ اللهِ وَمَا يُقَرِّبُنَا إِلَيْهِ، وَفِي تَحْقِيقِ الخَيْرِ لَنَا وَلِلنَّاسِ كَافَّةً، وَأَنْ نَنْأَى بِهَا عَنْ كُلِّ مَا يَضُرُّنَا وَيُبْعِدُنَا عَنْ شَاطِئِ السَّلامَةِ، وَلْنَكُنْ بِاستِعْمَالِنَا هَذِهِ النِّعَمَ عُنْوَانَ صِدقٍ وَوَفَاءٍ، وَصَلاحٍ وَبِنَاءٍ وَعَطَاءٍ، حَتَّى تَسْعَدَ البَشَرِيَّةُ بِأَسْرِهَا.

وَفَّقَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِعَزَائِمِ الأُمُورِ، وَحَمَى اللهُ مُجْتَمَعَاتِنَا مِنْ كُلِّ الشُّرُورِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ المُعْطِي بِلا حُدُودٍ، وَبَاسِطِ الخَيْرِ فِي كُلِّ الوُجُودِ، وَنَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ الغَفُورُ الوَدُودُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ رَحْمَةُ اللهِ لِلْعَالَمِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا إِخْوَةَ الإِيمَانِ:

إِنَّ وَسَائِلَ الاتِّصَالِ وَالمُحَادَثَةِ مَقْرُوءَةً وَمَرئِيَّةً وَمَسْمُوعَةً، لا يُمْكِنُ أَنْ يَمْتَنِعَ الإِنْسَانُ مِنَ استِعْمَالِهَا؛ لأَنَّهَا صَارَتْ ضَرُورَةَ العَصْرِ، إِلاَّ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ استِعْمَالُهَا دُونَ قَيْدٍ أَوْ شَرْطٍ، بَلْ لا بُدَّ مِنْ آدَابٍ حَمِيدَةٍ وَضَوَابِطَ كَرِيمَةٍ يُمْكِنُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهَا جَمِيعُ النَّاسِ؛ لِيَحْذَرُوا مَغَبَّةَ هَذِهِ الوَسَائِلِ، فَهِيَ مِنْ نِعَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْنَا، فَيَنْبَغِي اغْتِنَامُهَا فِي الخَيْرِ، وَالنَّأْيُ بِهَا عَنِ الشَّرِّ، وَالحُكْمُ يَدُورُ حِلاًّ وَتَحْرِيمًا عَلَى استِعْمَالِ الإِنْسَانِ لَهَا، فَهِيَ سِلاحٌ ذُو حَدَّيْنِ، مَعَ مُرَاعَاةِ شَخْصِيَّةِ المُتَعَامِلِ مَعَهَا مِنْ نَاحِيَةِ تَمَكُّنِهِ مِنْ تَجَنُّبِ سَلْبِيَّاتِ

هَذِهِ البَرَامِجِ، فَإِنْ كَانَ مَقْصَدُهُ الخَيْرَ وَنَشْرَ كَلِمَةِ الحَقِّ، فَاللهُ تَعَالَى يُثِيبُهُ عَلَى نِيَّتِهِ، وَيَكُونُ عَمَلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي يُؤْجَرُ عَلَيْهَا، أَمَّا إِنْ كَانَ ضَعِيفَ الإِيمَانِ لا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ ضَرَرِهَا وَخَطَرِهَا وَيَكُونُ مَا يُفْسِدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُصْلِحُ، فَهَذَا عَلَيْهِ أَنْ يُجَنِّبَ نَفْسَهُ مُضِلاَّتِ الفِتَنِ وَمَوَاضِعَ الهَلاَكِ، فَعَلَى الجَمِيعِ أَنْ يُحْكِمَ أَمْرَهُ، وَذَلِكَ لا يَتَأَتَّى إِلاَّ بِإِحْرَازِ جُمْلَةِ آدَابٍ مُهِمَّةٍ، أَهَمُّهَا اصطِحَابُ تَقْوَى اللهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، فَإِنَّهُ لا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، فَلْتَكُنْ هَذِهِ الوَسَائِلُ غَنِيمَةً لَكَ – يَا أَخِي – فِي كُلِّ خَيْرٍ وَنَفْعٍ، وَاعْلَمَ تَمَامَ العِلْمِ أَنَّ وَقْتَ الفَرَاغِ نِعْمَةٌ؛ فَاشغَلْهُ بِالأَعْمَالِ الخَيِّرَةِ وَالبَرَامِجِ الهَادِفَةِ وَالمَهَارَاتِ المُفِيدَةِ، وَعَلَيْكَ أَنْ تُفَوِّتَ عَلَى الشَّيْطَانِ أَيَّ فُرْصَةٍ لِلإِغْوَاءِ مِنْ خِلالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ، وَاعلَمْ بِأَنَّ هَذِهِ نِعَمٌ أَنْتَ مَسْؤُولٌ عَنْهَا وَمُحَاسَبٌ عَلَيْهَا، فَلا تَكُنْ عَلَيْكَ وَبَالاً، وَإِنَّمَا سَخِّرْهَا فِي الخَيْرِ؛ فَاستَفِدْ مِنْهَا وَأَفِدْ مِنْ خِلالِهَا غَيْرَكَ، فَإِنْ رَأَيْتَ بَعْضَ الشَّرِّ لِسُوءِ استِعْمَالِهَا؛ فَانْجُ بِنَفْسِكَ، فَنَفْسُكَ أَغْلَى مَا تَمْلِكُ؛ فَلا تُضَيِّعْهَا بِمَا يُغْضِبُ اللهَ، وَاستَعِنْ بِاللهِ وَأَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِهِ، وَاقْتَرِبْ مِنْهُ، وَاسأَلْهُ العَوْنَ فَهُوَ المُعِينُ وَلَنْ يُضِيعَ عِبَادَهُ. وَمِنَ الآدَابِ الرَّاقِيَةِ فِي استِعْمَالِ هَذِهِ الوَسَائِلِ الخُرُوجُ فِي أَيِّ لَحْظَةٍ يُحِسُّ فِيهَا بِأَنَّهُ سَيَرتَكِبُ أَخْطَاءً، وَسَيَقَعُ فِي مَآزِقَ لا يَستَطِيعُ التَّخَلُّصَ مِنْهَا، فَالمَرْءُ مَأْمُورٌ بِأَنْ يُوصِدَ أَبْوَابَ الشَّرِّ، وَأَنْ يَحْسِمَ الأَمْرَ فِي مَبْدَئِهِ؛ فَلْيَخْتَرْ مِنَ الوَسَائِلِ مَا يُعِينُهُ عَلَى إِنْجَازِ مَا يُرِيدُ فِعْلَهُ مِنْ خَيْرٍ، مَعَ التَّصَوُّنِ وَالتَّحَفُّظِ فِي الأَلْفَاظِ وَالعِبَارَاتِ، وَلْيَحْرِصْ عَلَى سَلامَةِ نَفْسِهِ وَالآخَرِينَ، وَلْيُحَاسِبْ نَفْسَهُ بَعْدَ كُلِّ استِعْمَالٍ لِهَذِهِ النِّعَمِ، حَتَّى يُمْكِنَ لَهُ أَنْ يَتَلافَى السَّلْبِيَّاتِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُ، مَعَ الاستِغْفَارِ لِكُلِّ زَلَّةٍ وَقَعَتْ مِنْهُ وَلَوْ فِي غَفْلَةٍ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾(١)، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٢).

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى

(١) سورة النساء / ١٠٦ .

(٢) سورة النساء / ١١٠.

ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ. اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .